الشيطان: مرآة لكشف نقاط الضعف في نفوسنا

التعرّف على نقاط الضعف والقوة بمساعدة الشيطان!

إلى أيّ حدّ أنت على دراية بوساوس الشيطان وهجماته؟ وبأيّ وسائل تلجأ عادةً لاكتشاف مواطن ضعفك؟ وهل خطر ببالك يومًا أن الشيطان نفسه يمكن أن يكون سببًا في نمونا وتقدّمنا، بل وسيلةً نافعة في كشف عيوبنا؟

نحن جميعًا، سواء شئنا أم أبينا، على نوعٍ من الاتصال بالشيطان؛ صلةٌ قد تكون هدامة وضارة، أو بنّاءة ونافعة، تمامًا كعلاقاتنا مع سائر مخلوقات الكون التي تحمل وجهين.

خذ النار مثالًا: إنها من نِعَم الله، فإن أحسنّا التعامل معها واستخدمناها بطريقة سليمة، لبّت حاجاتنا الضرورية، وإلا صارت نارًا مؤذية وخطيرة. فالنار في ذاتها ليست شرًّا، بل نحن من نحدّد خيرها أو ضررها من خلال أسلوب تعاملنا معها. وكذلك الشيطان، مخلوق من مخلوقات الله، له طبيعة مزدوجة؛ فإن كنّا ضعفاء في فهمه ومعرفة أساليب هجماته، أضلّنا وأوقعنا في الغواية، أما إذا واجهناه بفهمٍ صحيح ونظرةٍ إنسانية راشدة، وتعلّمنا كيف نتصدى له ولمكائده، فإننا بذلك نحوّل تهديده إلى فرصة للنمو والكمال الإنساني.

إذا تأملنا الحياة بعينٍ فاحصة، سندرك أنها في مجملها ميدانُ صراع، وأحد الخصوم الثابتين في هذا الميدان هو الشيطان، الذي لا مناص من مصارعته. الشيطان أشبه بخصمٍ في تدريبٍ دائم، يضغط على نقاط ضعفنا، ومن خلال الهزائم التي نتلقّاها أمامه وهجماته، يمكننا بدقة أن نعرف أيّ جزء من شخصيتنا فيه خلل، وأين نحتاج إلى إصلاح وترميم. كما أن المصارعة والمواجهة في ساحات القتال تقوّينا وتكشف لنا مواضع الضعف، فإن الاشتباك مع الشيطان نعمة في ذاته، لأنها تُقوّي أرواحنا يومًا بعد يوم، وتشدّ من عزائمنا.

في هذا المقال، سنسعى لفهم طبيعة عمل الشيطان وآلية هجماته وكيفية تسلّله إلى القلب كما نفهم كيفية استثمار وجود الشيطان لاكتشاف نقاط ضعفنا!

أداء الشيطان عند دخوله إلى القلب

الشيطان في علاقته بنا يشبه عمل اللقاح؛ فهجماته ليست سوى جراثيم ضعيفة من اليأس، والضعف، والخوف، والحزن، والخمول، والكسل، والفتور، يحقنها في قلوبنا من جهات متعدّدة. إنه يعلم جيدًا أن أثمن

ما نملك في وجودنا الأبدي هو "القلب السليم"، ولذا فهو لا ينفكّ يطوف حول قلوبنا، مترصّدًا أي فراغٍ فيها، ليملأه بالأباطيل والدناسة.

فهو دائم التربّص بنا من أربع جهات: الخلف، والأمام، واليمين، واليسار؛ فتارةً يهاجمنا من اليسار، فيدفعنا نحو المعصية، وتارةً يشنّ هجومه من الوراء، فيُذكّرنا بذنوبنا الماضية، وإخفاقاتنا، وأحزاننا، ويُضخّمها في أعيننا ليُطفئ عزيمتنا ويشلّ قدرتنا على التقدّم. وأحيانًا يهجم من الأمام، فيُرينا مستقبل الدنيا الفاني مرعبًا ومقلقًا إلى الحدّ الذي يُنسينا الآخرة، ويُفقدنا القدرة على التفكير في القيامة والبرزخ والقبر. ولكن أخطر هجماته على الإطلاق هي تلك التي تأتي من اليمين؛ لأنها الأشدّ خفاءً والأصعب في التمييز. في هذا النوع من الهجمات، يُضخّم الشيطان في أعيننا كمالاتنا، ويُبرِز لنا فضائلنا المقدّسة والنورانية على نحو مبالغ فيه، حتى نقع في فخّ الإعجاب بالنفس والغرور؛ فنخطو خطاه، ونبتعد عن الله.

كم من إنسان يتعرّض مرارًا وتكرارًا لهجمات الشيطان المتنوّعة، ومع ذلك، لا يُدرك طيلة عمره حقيقة هذه الهجمات ولا يتعرّف على جوهرها. فلنتذكّر: رغم جميع الإزعاجات والمكائد التي يصنعها لنا الشيطان، فهو يُعدّ أعظم وسيلة لنمونا واكتشاف نقاط ضعفنا؛ شريطة أن نتعلم كيف نواجهه. فإذا آمنّا بأن القلب هو حقيقة وجودنا، واعتبرنا هجمات الشيطان جزءًا لا يتجزأ من رحلتنا الوجودية، فإننا سنتمكن من خلال تشخيص هذه الهجمات، من تحديد نقاط ضعفنا والسير نحو النمو والكمال. أما إذا نظرنا إلى هجمات الشيطان على أنها تهديدٌ مخيف، فإننا سنعيش في خوفٍ منها ونفشل في تحويلها إلى فرصٍ للارتقاء.

نقاط ضعفنا هي مقابض دخول الشيطان إلى القلب

الشيطان يرقب عن كثب، ويتفحّص مواضع الضعف ومكامن الميل في كلّ شخص، ثمّ يتسلّل من تلك النقطة تحديدًا إلى قلبه. إنه عالم نفس بارع من الطراز الأول، يتعامل مع الناس بطبائعهم المختلفة، فيخترق القلوب تبعًا لما فيها من ميول؛ فواحدٌ يُغويه بالمال، وآخر يجرّه نحو الشهوة، وثالث يصطاده بالبريق والمكانة، بينما يقع بعضهم الآخر في حبائله من خلال الصلاة والعبادة!

عادةً ما يهاجم الشيطان الإنسان عندما يكون في حالة من فراغ معرفي أو عبادي أو عاطفي؛ فإذا لم نغذِّ أنفسنا روحيًا ومعرفيًا من خلال مصادر التنوير كالاستفادة من توجيهات العلماء الربانيين، وذكر الله،

ومصاحبة الصالحين، والترفيه النافع والمفيد، فإننا بلا شك نصبح عرضةً لهجمات الشيطان. أما إذا ملأنا قلوبنا وعقولنا بالزاد الروحي والمعرفي، فلن نترك مجالًا للأفكار السلبية أو وساوس الشيطان أن تتسلل إلينا .

تجدر الإشارة إلى أن الشيطان لا يملك سلطةً مباشرة علينا، وإنما دوره يقتصر على إلقاء الأفكار في النفس، وهذا يحدث عندما نمنحه نحن الذرائع من خلال نقاط ضعفنا وانحرافاتنا في العلاقات، أو الاختيارات، أو الأفكار، أو السلوكيات. فهذه الثغرات هي التي تُهيئ الأرضية المناسبة لنفوذه وتأثيره .

من بين أخطر الصفات التي تُشكّل معاقل قوية لنفوذ الشيطان: التعصّب، والكبر، والجهل؛ فإذا ابتُلي الإنسان بهذه الرذائل لثلاث، أصبح الشيطان على يقينٍ أنّ استثماره فيه لن يذهب هباءً، وما دامت هذه العلل تسكن أعماقنا، فلن ننجو من قبضته. خذ مثالًا على ذلك: الحقد؛ إنه قبضةٌ صلبة وثغرةٌ كبيرة يقتحم منها الشيطان قلوبنا، وطالما كان القلب مشحونًا بالكراهية، فستظلّ يد الشيطان قابضةً عليه، ولا مهرب من سطوته.

في هذا المقال، تناولنا أداء الشيطان، وأنواع هجماته، وكيفية دخوله إلى القلب، وبيّنّا أن الشيطان لا يخترق قلوبنا من العدم، بل ينفذ إليها من حيث نُبدي تعلّقًا أو ضعفًا. ومن ثمّ، إن كانت نظرتنا إلى هجمات الشيطان وآليتها نظرةً دقيقةً وواعية، وإن كنّا نؤمن بأن القلب هو جوهر وجودنا، وأنّ الشيطان ليس مجرّد عدو، بل وسيلة تساعدنا على النموّ واكتشاف الثغرات فينا، فإننا سنتمكن – من خلال معرفة مواطن دخوله – من التعرّف على خللنا، وسدّ فراغاتنا، والمضيّ نحو الكمال.